تعليقا على الخلاف بين المقدسي والزرقاوي: إرادة المعرفة وإرادة الاعتقاد

30-12-2004

إن الانقلاب والتحول فكر ابن لادن جاء عن طريق مرجعية الدكتور أيمن الظواهري مما أفسح المجال أمام الزوقاوي وابن لادن للالتقاء مجددا هذه المرة ثم التوافق لسببين، الأول: التحول النظري عند ابن لادن، والثاني: التحول العملي عند الزرقاوي، حيث أجبر الزرقاوي على تبني نزعة براغماتية عملية أملتها ضرورات العمل ضد الولايات المتحدة في العراق

بقلم حسن أبو هنية

مواد ذات علاقة

- المقدسي والزرقاوي..خلاف ليس على الأفكار فقط (1)
- المقدسي والزرقاوي..خلاف ليس على الأفكار فقط (2)

يبدو أن السجال والجدل الايدولوجي العقائدي لا يزال يطغى على خطاب الحركات الإسلامية المعاصرة في ظل غياب الخطاب العقلاني المؤسس على شروط المعرفة العلمية الراسخة، ويمكن اعتبار الردود المتسرعة على مقال الأستاذ محمد أبو رمان نموذجا مثاليا للخلط بين الخطاب الايدولوجي والابستمولوجي في الحالة الإسلامية الراهنة، فيما يقدم الأستاذ محمد أبو رمان محاولة لفهم سياقات الاختلاف والخلاف داخل الحركات السلفية الجهادية في الأردن دون إصدار حكم، جاءت الردود مشحونة بطاقة عاطفية تفجيرية هائلة، وهي أحد السمات المكونة للخطاب الأصولي الإسلامي والمعاصر، وأنا هنا أود الإشارة إلى بعض الأخطاء والمغالطات التي جاءت في الردود، ولعل أبرز المسائل التي أثيرت كانت حول علاقة أبو مصعب الزرقاوي مع زعيم تنظيم القاعدة أسامة بن لادن، حيث أورد الأستاذ أبو رمان الخلاف القديم بين الطرفين حول مسألة

الأسماء والإحكام وتطبيقاتها العملية.
فقد كان الزرقاوي متشددا في المسألة وتفريعاتها المختلفة كالولاء والبراء والتشريع، حمله ذلك على تكفير الأنظمة والحكومات العربية والإسلامية كافة، فيما كان ابن لادن متحفظا في تطبيقات المسألة المختلفة وخصوصا النظام السعودي الذي كان بن لادن حين لقائه مع الزرقاوي لا يقر بكفر النظام، مما أدى إلى قطيعة بين الطرفين، منعت فيها الزرقاوي من الانضمام إلى تنظيم القاعدة فضلا عن خلافات أخرى حول إستراتيجية العمل المسلح. فابن لادن كان يقدم قتال العدو البعيد الذي يتمثل في الصليبية واليهودية بقيادة الولايات المتحدة وإسرائيل، بينما كان الزرقاوي يقدم قتال "العدو" القريب ممثلا في الأنظمة العربية فضلا عن الخلاف بينهما حول "دولة طالبان" و"إمارة الملا محمد عمر"، التي كان ابن لادن يراها نموذجا جيدا يقبل التحسين ووجوب مبايعة الملا محمد عمر، فيما كان الزرقاوي متحفظا على إمارة طالبان.
حول هذه المواقف والاختلافات والخلافات يمكن الرجوع إلى جملة البيانات التي أصدرها الطرفان، وهي غزيرة من قبل ابن لادن بعضها جاء في مقابلات متعددة مع عدة صحفيين مثل بيتر ارنت وروبرت ميلر وروبرت فيسك وعبد الباري عطوان وغيرهم، وبعضها الآخر يمكن الرجوع إليه في البيانات التي أصدرها ابن لادن وهي متوفرة في عدة مواقع على شبكة الانترنت.
وقد ظهر ذلك جليا مع أزمة الخليج الثانية حين أصدر بيانات تحت عنوان "أخرجوا المشركين من جزيرة العرب"، احتوى على جملة من النصائح للنظام السعودي وبعدم السماح للولايات المتحدة من الدخول إلى السعودية لإخراج العراق من الكويت،

وكان ابن لادن قد عرض خطة على النظام السعودي لتحرير الكويت دون الاستعانة بالولايات المتحدة وقوات التحالف. ومن المعلوم أن علاقته بالنظام السعودي كانت ودية أثناء الحرب الأفغانية الروسية، حيث كان يعمل بتنسيق ودعم كامل من قبل النظام وكان يتردد على المملكة بين الحين والأخر، إذ عمل على إنشاء عدة منظمات إصلاحية منها "هيئة النصيحة والإصلاح"، ولا يخفى على باحث أن القطيعة مع النظام في المملكة العربية السعودية بدأت عام 1991 عقب دخول الولايات المتحدة إلى السعودية، ومع ذلك لم يكن حتى هذا الوقت يرى كفر النظام، وقد حصل تحول جذري في عقيدة ابن لادن السياسية والايدولوجية والإستراتيجية عقب التحالف مع زعيم تنظيم الجهاد الدكتور أيمن ظواهري، حيث شكلا معا "الجبهة العالمية الإسلامية لجهاد اليهود والصليبيين" والتي غلب عليها لاحقا اسم تنظيم "القاعدة" إعلاميا، ثم ارتضاه وقبله ابن لادن والظواهري، ولم يعد اسم الجبهة متداولا، وقد تم الإعلان عن تأسيس الجبهة والتحالف بين الطرفين في شباط عام 1998، حيث استهل التنظيم نشاطه بعمليتين متزامنتين في نيروبي ودار السلام في نفس العام.

يتبين مما سبق على الرغم من الاختصار الشديد، أن هناك اختلافا وفجوة بين الزرقاوي وابن لادن، قبل الإعلان عن الجبهة وبعدها، ولعل ذلك يعود إلى أن ابن لادن كان قد تربى في كنف الشيخ عبد الله عزام الإخواني القطبي والمؤسس لظاهرة الأفغان العرب، وتتلمذ على يديه وتأثر به كثيرا جاعلا منه مرجعا أساسيا يحدد المنهج والرؤية، أما أبو مصعب الزرقاوي فقد تتلمذ على يد الشيخ أبي محمد المقدسي الذي تأثر بأئمة الدعوة النجدية، وكان قد ألف كتابا في مسألة الولاء والبراء أطلق عليه

اسم "ملة ابراهيم" وكتابا آخر وهو "الكواشف الجلية في كفر الدولة السعودية"، حيث كانت المسألة عند الزرقاوي لا تحتمل الاختلاف ولا يمكن معها تجسير فجوة الخلاف.
بقي أن نقول إن الانقلاب والتحول فكر ابن لادن جاء عن طريق مرجعية الدكتور أيمن الظواهري أمير تنظيم الجهاد عام 1998 مما أفسح المجال أمام الزوقاوي وابن لادن للالتقاء مجددا هذه المرة ثم التوافق لسببين، الأول: التحول النظري عند ابن لادن، والثاني: التحول العملي عند الزرقاوي، حيث أجبر الزرقاوي على تبني نزعة براغماتية عملية أملتها ضرورات العمل ضد الولايات المتحدة في العراق وهي العدو المشترك، من هنا جاءت مبايعة الزرقاوي لابن لادن متأخرة نسبيا بتاريخ 17/10/2004 مع بقاء الاختلاف حول إستراتيجية "الجهاد" والعمل المسلح مما لا تتسع له هذه العجالة.